

الرَّسَالَة ٣٥

اصبروا

(Arabic - You need to persevere)

أحبائي: رسالة الله إلينا اليوم مَوْضُوعُهَا: اصبروا

ومن الرسالة إلى العبرانيين الأصحاح العاشر نقرأ العدد السادس والثلاثين:

"لأنكم تحتاجون إلى الصبر.. حتى إذا صنعتم مشيئة الله تتالون الموعد".^١

إذا قمنا بدراسة لشخصيات القديسين الذين كانت حياتهم كواكب ساطعة وأناروا الطريق لأجيالهم في العهدين القديم والجديد.. وكذلك هؤلاء الذين يعيشون بيننا وهم كالمنار الهادي لسفن حياة الكثيرين.. وأنوارهم المتلألئة خير هداية للمرفأ الأمين.. سنكتشف تراثاً عظيماً من الفضائل كان القدامى بها يتحلون وكذلك يتمسكُ بها الآن المعاصرون وتاجُ هذه الفضائل الصبر.. لذلك يوجّه كاتبُ الرِّسَالَة إلى العبرانيين أنظارهم في عصره وأنظارنا نحن إلى تلك الفضيلة بالقول: "لأنكم تحتاجون إلى الصبر". وهناك ثلاثة تساؤلات نصادفها من كثيرين.

السؤال الأول: يأتينا في صيغة كهذه: أوليس وعدُ الربّ لنا: "اسألوا تعطوا اطلبوا تجدوا افرعوا يفتح لكم؟".^٢ فلماذا نسألُ الله ولسنا آخذين! ونطلبُ ولسنا نجد. ونقرعُ البابَ ولسنا نراه إلا مُوصداً! أوليس هذا هو الواقع؟. الإجابة: ليسَ هذا هو الواقع دائماً.. ولنتحذر فأحياناً يُوهمنا العدوّ بذلك ولا يجوزُ للمؤمن أن يجهلَ أفكاره.. فهو يَدُسُ فيها سمومَ اليأس والتذمر وما لم نتحرر منها سنبقى أسرى تحت سلطان فكر مَسْمُوم يحرصُ إبليس أن يزرعه في عقولنا فنحصدُ ضيقاً وقلقاً وتبرماً وعدمَ صبر.. فإن كنا نعانى من حالة كهذه فعلياً أن نأتى يسوع المسيح ابن الله الحى إذ مكتوبُ عنه: "إن حرركم الابن فالحقيقة تكونون أحراراً".^٣

إن الربّ يُحررنا من أفكار عدوّ الخير لأنها مُجرّد أكاذيب مهمما بدت مطابقة للظروف.. لنثقُ أن الله يسمعُ لطلباتنا ويستجيب لها بحكمته.. مئها ما يستجيب في الحال ومئها ما يرفضُ الاستجابة له لأننا نطلبها ونحنُ نجهلُ عواقبها وفي الاستجابة لها ما يلحقُ ضرراً بنا.. ومئها ما يؤجلُ الاستجابة لها لحكمةٍ سنفهمها فيما بعد.. إن الله يسمعُ الصلاة ثم يستجيب لنا بنعم. أو بلا. أو بإشارةٍ للانتظار والصبر.. وفي كلِّ الأحوال سنجدُ أن استجابة الربّ تتفقُ مع حبه وحكمته.. لذا يلفتُ كاتبُ سفر العبرانيين أنظارَ المؤمنين قائلاً: "لأنكم تحتاجون إلى الصبر".^٤

يُسجَلُ لوقا البشير في إنجيله الأصحاح الأول أن ملاكاً جاء يُبشّرُ زكريا الكاهن بأن الله سيُنعمُ عليه بولدٍ وهو يوحنا المعمدان. كان زكريا شيخاً طاعناً في السنّ وكذلك إمراته. وبشّره الملاك بقوله له: "إن طلبتك قد سمعتُ وامراتك إليصابات ستلدُ لك ابناً وتسميه يوحنا". فقال زكريا للملاك: "كيف أعلمُ هذا لأنى أنا شيخٌ وامراتي مُتقدّمة في أيامها؟!". فأجاب الملاك وقال له: "أنا جبرائيلُ الواقفُ قدّامَ الله وأرسلتُ لأكلمك وأبشركُ بهذا". وهنا أصابت زكريا الدهشة حين قال له الملاك: "إن طلبتك قد سمعتُ!". ما طلب الرجل في ذلك السنّ المُتقدم طلبه كهذه. كانت طالبة في سنوات شبابه فكيف يأتيه الملاك في شيخوخته قائلاً: "إن طلبتك قد سمعتُ!".^٥

الحقيقة: أن طلبته قد سمعتُ في حينها أمّا الاستجابة فلها حينٌ آخر.. للأسف صدقَ زكريا أفكارَ العدوّ فكان يائساً من الاستجابة لذلك اعترض حينما قال له الملاك أن طلبته رَغَمَ مرور السنين عليها قد سمعتُ.. وجاءَ يبشّره بالاستجابة.. إن الربّ يستجيبُ بطرقٍ مختلفة قد تكون مئها الطريقة المعجزية فلنصبر.. وليعلم كلُّ مؤمن

استمع إلى الإنجيل

^١ الرسالة إلى العبرانيين ١٠: ٣٦

^٢ إنجيل متى ٧: ٧ - ٨

^٣ رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٢: ١١ ، إنجيل يوحنا ٨: ٣٢ ، ٣٦

^٤ إنجيل يوحنا ١٣: ٧

^٥ إنجيل لوقا ١: ٨ - ٢٥

أنّ طلبته قد سُمعت في حينها.. فنحن نتعامل مع إله مُحبّ.. إله قادر.. إله يختار لنا الأصلح.. إن الله يستمع لأولادهٍ للأكبر كما للأصغر وحسبَ حكمته وتدبيره الإلهي الصالح يستجيبُ وليسَ حسبَ حكمتنا وتدبيرنا البشريّ.

أما عن السؤال الثاني: فيأتي في صيغة كهذه: أوليسَ وعدُ الربِّ لنا: "الدعني في يوم الضيق أنقذك فتمجّدني"؟. وأنا الآن في ضيق! دعوتُ الربِّ وما زلتُ أعاني الضيق! أمشيئة الربِّ أن أبقى على الدوام في ضيق؟. الإجابة: ليسَ هذا صحيحاً.. لأن مشاعرَ الربِّ من نحونا مشاعرُ الحنان والرحمة وهي تسمو على كلِّ مشاعر تاملُ يسوع يبكي عند قبر لعازر وبعد دقائق يُقبمه من الأموات.. أخى يا مَنْ تعانى من ضيق الربِّ معك في ضيقك. فالوعد أكيد أن "ملاك الربِّ حالٌ حولَ خافيهِ ويُنجيهِم". لقد تعجّب شاول الطرسوسى وهو في طريقه إلى دمشق حينما قال له الربُّ: "شاول شاول لماذا تضطهدني؟". أجاب شاول: "مَنْ أنت يا سيّد؟". فقال له الربُّ: "أنا يسوع الذى أنت تضطهده". لم يكن يعلمُ شاولُ أنه إذا اضطهدَ أتباعَ يسوع.. فقد اضطهدَ يسوعَ الحى نفسه!¹

مكتوب: الربُّ "يقاتلُ عنكم وأنتم تصمتون".. ويقول المُرتم في مزموه: "انتظرُ الربِّ واصبرُ له".. كان لأليشع غلامٌ نفذ صبرُهُ وهو يرى جيشَ الأعداء يُحيط بالمدينة والخيلَ والمركبات.. فقال الغلامُ لأليشع: "آه يا سيدي كيف نعملُ؟". فقال له أليشع: "لا تخفُ لأنّ الذين معنا أكثرُ من الذين معهم".. وصلى أليشع: "يا ربُّ افتحْ عينيه فيبصر".. "افتحْ الربُّ عينى الغلام فأبصرَ وإذا بالجبل مملوء خيلاً ومركبات نارٍ حولَ أليشع".. أخى: لنصبرُ في الضيق لأننا مُحاطون بحراسة مُشدّدة ولن ينالَ مِنّا الأعداءُ شيئاً.. لأنه "إن كان الله معنا فمن علينا"².

أما السؤال الثالث والأخير.. ويختصُّ بوعدِ الربِّ القائل: "ها أنا أتى سريعاً".. ربّما يقولُ قائل: "لماذا يتباطأ الربُّ في مجيئه؟".. إن بطرس الرسول يُحرّضنا بالقول: "منتظرينَ وطالبيينَ سرّعةً مجيء الربِّ".. ونحنُ ننتظرُ مجيئه ونطلبُهُ فلماذا لم يُحققِ الربُّ وعده حتى الآن؟. أحبّأتى: إن بطرس الرسول يقول: "لا يتباطأ الربُّ عن وعده كما يحسبُ قومُ التباطؤ. لكنّه يتأتى علينا وهو لا يشاء أن يهلكَ أناسٌ.. بل أن يُقبلَ الجميعُ إلى التوبة"³.

سمعتُ راعياً في كنيسةٍ يحكى هذا الاختبار: لقد كان لى صديقٌ شابٌ تقىّ محبوبٌ مات إثرَ حادثٍ أليمٍ وكان موته خسارةً فادحةً للكنيسة إذ كان أحدَ أعمدتها.. انكسر قلبى بفقدِهِ وامتلاً ألماً وحسرةً عليه.. وحدث أثناءً موكبِ الجنازة كنت أناجى ربّى قائلاً: اسمح لى إلهى أسألك.. لماذا قطفت من البستان أجملَ زهوره أما كان هذا الشابُّ وهو حياً نافعاً لك ولى؟. أما كان لأفرائيه مثلاً يُحتذى؟. لماذا تركتَ فلانا وفلانا يعيشون فى الأرض فساداً وأخذتَ هذا الشابَّ العاملَ النشيط فى كرمك؟. أتأخذُ الصالحَ والصالحَ قليل؟!. وتتركُ الطالحَ والطالحَ كثير؟!. لماذا أنهيتَ حياةَ كان خيراً لها أن تمتدَّ وأبقيتَ على حياةَ كان خيراً لها أن تنتهى؟!. نامَ الراعى ليلته وهو فى ضيقٍ شديدٍ. فإذا به يسمعُ فى منامه صوتاً يُخاطبه بالقول: أنسألنى لماذا أنهيتَ حياةَ هذا وأبقيتَ على حياةَ ذلك؟!. الأفضلُ أن تسألنى: لماذا أنهيتَ حياةَ هذا وأبقيتَ أنت؟!. إن هناك هدفاً لى من حياتك يا بنى. لذلك تأنيتُ عليك وأبقيتُك!.

إن للربِّ قصداً إن يتأتى علينا ويُبقينا على الأرض.. وإن كان الله يصبرُ علينا فهذا لخبرنا.. وللربِّ قصداً أن يتأتى فى مجيئه.. هذا ليعطينا فرصةً أطولَ لنتممَّ مشيئته وقصده من وجوبنا على الأرض.. أخى العزيز.. مكتوبٌ عن إلهنا أنه إله الصبرِ وهو يصبرُ علينا.. وفى الوقت ذاته يدعونا أن نتجنّبَ القلق.. ويُطالِبنا بالصبرِ.. فبالصبرِ نقتنى أنفسنا وننالُ مواعيده.. ووعدُهُ لنا "إن كنا نصبرُ فسنملكُ معه".. وإن كان الله يطالِبنا بالصبرِ فلأنه أعطانا الرجاء.. وإذ نتمسكُ بالرجاء يهونُ علينا الصبرُ⁴.

أدعوك أخى أن تشتركَ معى فى تلك الصلاة: أبانا السماوى.. أتى إليك طالباً صفحك وغفرانك.. أسألك كى تنزعَ منى القلقَ والهمَّ.. هبنى صبراً واملأنى رجاءً كى أعيشَ حياتى معك صابراً راجياً نعمتك.. أرفعُ صلاتى فى اسم يسوع البار.. واتقا من استجابتك حسبَ وعذك الصادق يا مَنْ قلت: مَنْ يُقبلُ إلى لا أخرجهُ خارجاً.

أخى القارئ العزيز.. إن أردتَ سماعَ تلك الرسالة أو غيرها ستجدُ ذلك فى:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

¹ سفر المزمير ٥٠: ١٥ & ٣٤: ٧ ، سفر أعمال الرسل ٩: ٥ ،
 ² سفر الملوك الثاني ٦: ١٧ ، سفر الخروج ١٤: ١٤ ، سفر المزمير ٣٧: ٧ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٨: ٣١
 ³ رسالة بطرس الرسول الثانية ٣: ٩ - ١٣
 ⁴ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ١٥: ٥ ، رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ٢: ١٢